عزيز الدين أبو نصر أحمد بن أبي الرجاء حامد بن محمد الأصبهاني الكاتب المستوفي ودوره في إدارة الدولة السلجوقية (472-526هـ/1079-1131م)

أسماء محمد الكندي *

عصام مصطفى عقلة

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية المستوفي الكاتب عزيز الدين أبو نصر أحمد بن أبي الرجاء حامد بن محمد الأصبهاني المشهور بالعزيز في الفترة (472-526هـ/1079-1131م)، وسيتناول هذا البحث حياة العزيز، وأسرته، وبداية عمله في إدارة الدولة السلجوقية، ووصوله لأعلى الوظائف فيها، وتبيان أهمية منصب المستوفي، وصاحب الخزانة السلطانية ثم ستحاول الدراسة التعرف إلى الأسباب التي أدت إلى حبسه وعزله ومقتله، ومدى دور القوى الإدارية والعسكرية السلجوقية في الإطاحة به.

وخلصت الدراسة إلى أن العزيز تورط بالتحالف مع السميرمي بالإطاحة بكل من عارضهم في إدارة الدولة، لذلك لما تمكن الفريق الآخر المعادي له من السيطرة على إدارة الدولة برئاسة الدركزيني أطاح بالعزيز في إطار الصراع بين القوى السلجوقية المختلفة في الإدارة والجيش.

الكلمات الدالة: العزيز الأصفهاني، الاستيفاء، السلاجقة، الإدارة السلجوقية.

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الشارقة.

تاريخ تقديم البحث: 2020/9/28. تاريخ قبول البحث: 2020/12/9 .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2023.

Aziz Al-Dein Abu Nasr Ahmed Ibn Abi Al Rajaa Hamid Ibn Mohammed Al Asbahani writer : The Writer who Fulfilled his Role in the Adminstration of the Seljuk State (472-526A.H /1079-1131 A.D)

Asmaa Mohammad Al-Kindy[*]

Isaam Mustafa Oqlah

Abstract

This study aims to shed light at the personality of Almustawfi, the writer Aziz Al Dein Abu Nasr Ahmed Ibn Abi Al Rajaa Hamid Ibn Mohammed Al Asbahani, famously known as "Al-Aziz", at the period(472-526 A.H /1079-1131 A.D). The study will cover the life of Al-Aziz, and his family, the early beginning of his work in the management of the Saldjuk Empire, and his rise up the career ladder, and showing the importance of the position of Almustawfi, the owner of the royal treasury. Then, the study will aim at finding the reasons that led to his imprisonment, isolation, and murder, in addition to the extent of the role of the Seljuk administrative and military forces in overthrowing him.

The study concluded that Al-Aziz was involved in an alliance with Al-Samayramy in overthrowing all those who opposed them in the administration of the state .. Therefore, when the other party who is to hostile to him managed to control the administration of the state during the rein of Al-Darkezeini, this party overthrowed Al-Aziz in the context of the conflict between the different Saldjuk forces in the Administration and military.

Keywords: Al-Aziz Al-Asfahani,Fulfillment ,Seljuk, Seljuk Administration.

[*] Department of History, College of Arts, University of Sharjah. .

Received: 28/9/2020. Accepted: 9/12/2020.

© All rights reserved to Mutah University, Karak, The Hashemite Kingdom of Jordan, 2023.

المقدمة :

لعبت الإدارة المدنية دوراً محورياً ورئيسياً في إدارة وتوجيه الدولة السلجوقية مترامية الأطراف، وأدى حسن عملها الى قدرة السلاجقة على التوسع الكبير، وحسن إدارة الولايات التابعة لهم، وخصوصاًإذا علمنا أن السلطان السلجوقي كان فقيراً من الناحية الإدارية، ويركز جهوده على إدارة الجيش، وقيادة المعارك، وولاة الأقاليم أكثر من اهتمامه بالإدارة المدنية للدولة، لذلك كان اهتمام السلاطين الكبار من السلاجقة مركزاً على اختيار مجموعة متميزة لإدارة الدولة.

وكانت تلك الإدارة تسير من قبل الوزير والصدور العظام الذين يساعدون الوزير في إدارة الدولة المترامية الأطراف، حيث يقول العماد الأصفهاني في تحديد المناصب العليا في الإدارة السلجوقية: "وهو منصب الطغراء، الذي هو من مناصب العظماء، وليس أكبر منه بعد الوزارة إلا منصب الاستيفاء، ثم الطغراء من جملة ديوان الرسائل والإنشاء، ثم منصب الإشراف، ثم عرض الجيش، وهذان المنصبان ليسا في العظمة مثل تلك المناصب الأُول" (Al-Emad al-Asfahani2019: 1/337) .

ولما كانت الإدارة السلجوقية لم تدرس دراسة مستفيضة وخصوصاً مناصب الإدارة غير الوزارة، فإن هذه الدراسة تحاول دراسة شخصية إدارية بارزة تولت مسؤولية المنصب الأول بعد الوزارة وهو منصب الاستيفاء، وهو العزيز الأصفهاني الذي لم يدرس حتى الآن بعد مراجعة لكل قواعد البيانات المتاحة، وكذلك لم يدرس المنصب الإداري الذي تولاه وهو منصب الاستيفاء في الدولة السلجوقية.

أولاً- اسمه ونسبه ونشأته:

ولد أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بألهُ، بفتح الهمزه وضم اللام، وتعني العقاب، أبو نصر بن أبي الرجاء القرشي (Al-Safadi 2000: 6/185)، الملقب عزيز (Ibn al-Fawti: 1/377- 378, Sabet Ibn al-Jawzi 2013: 20/242) الدين المستوفي عم العماد الكاتب الأصبهاني صاحب (الخريده)، والمشتهر بلقب العزيز اختصاراً.

ولد العزيز بأصبهان سنة 472هـ/1079م في أسرة مثقفة حيث كان والده أبو الرجاء حامد أديبا شاعراً، من ملاك الأراضي في أصفهان. (Al-Emad al-Asfahani1999: 60-61, Sabet Ibn al-Jawzi2013: 22/120)

وكان اهتمام والده به وبأخوته كبيراً حيث حرص على توفير تعليم عالٍ لـــه ولأخوته، لذلك درس علومه الأولـــى في مكتب الأديب الحـــسين بن إبراهـــيم النطنزي (ت1103/497)، ويبـــدو أنـــه تلقى فـــي هـــذا المكتب علـــوم العربية والنحـــو والحـــساب والعلـــوم الدينيـــة (Al-Emad al-Asfahani1999, 167) ولا تقدم لنا المصادر معلومات أخرى عن دراسته وحياته قبل دخوله الإدارة السلجوقية والعمل بها ، لكن من خلال ما ظهر عليه من معارف نستطيع القول أنه تلقى دراسات مكثفة في الحساب والأدب واللغة والفقه، ولذلك وصفه العماد الأصفهاني بقوله: "الذي اخترع في علم الاستيفاء رسوماً، وأوجد فيه رقوماً، وصنف بالمملكة قانوناً، وأورد فيه مع اختصاره وإيجازه فنوناً، فالناس في علم الاستيفاء عالٌ عليه، وما يدعي فاضل منهم حذقاً إلا وهو ينتمي إليه، وكان علامة في العلوم" (Al-Emad al-Asfahani1999, 431) وهو ما يؤكد الثقافة العالية التي كان يتمتع بها مما يشير إلى مستوى التعليم الذي تلقاه.

وكذلك وصفه ابن الدبيثي بقوله: "وكان فيه فضل وكتابة، وله شعر حسن" وذكر أنه حدث في بغداد بعلمه في الحديث النبوي (Ibn Al-Dabithi 2006: 2/243)، وهذه كلها تؤكد تلقيه تعليما عالياً، ولابد التنويه هنا الى إتقانه الفارسية بحكم إقامته في أصفهان.

وكان لوالده علاقات بالإداريين السلاجقة في عصره، وبنى معهم مجموعة من العلاقات القوية توج بعضها بمصاهرة أمين الدولةعلي المستوفي أحد كبار موظفي ديوان الاستيفاء في عهد الوزير السلجوقي الأبرز نظام الملك الطوسي (قتل 486هـ/1092م)، الذي فيما يظهر هو من ساهم في دخول عزيز الدين للإدارة السلجوقية، ويبدو أنه أطلع العزيز على تفاصيل الإدارة، وتراتيبها، وقوانينها بحيث غدا من كبار المطلعين عليها (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/194).

ثانيا-عزيز الدين وتدرجه في المناصب:

لا تسعف المصادر كثيراً في تتبع تدرج العزيز الوظيفي بشكل كامل، كما لا تعين في تحديد تأريخ دخوله للإدارة، وهو أمرٌ طبيعي إذ لا تعتني المصادر بالرجال إلا بعد توليهم المناصب العالية، وهنا تضيع الكثير من أخبار بداياتهم، أو تكون تلك البدايات عرضة لإشغالها من قبل محبي أولئك المشاهير أو من أعدائهم، لذلك يعتريها عادة الشك، وهو الأمر الذي ينطبق على الإداريين وينطبق حتى على كبار الأمراء والملوك والسلاطين، ودرجت مصادرنا عادة على عدم الاهتمام بغير الوزراء من الإداريين، لذلك كانت معظم سير الإداريين ما خلا الوزراء مجهولة مهملة، لم يتم الاعتناء بها لا من قبل المصادر الإسلامية، ولا من قبل المؤرخين المحدثين، لذلك جاءت المعلومات عن عزيز الدين في المصادر قليلة، بل كانت ترجمته في المصادر القليلة التي ترجمت له صغيرة ونزرة، وفقيرة بالمعلومات مركزة على فترة توليه الاستيفاء، وقضية مقتله، وبعض

الأعمال الخيرية له، ولولا أن العماد الأصفهاني المؤرخ والإداري والأديب البارع كان ابن أخيه، وكان معظم مجده يعود لعمه العزيز، واعتناء العماد الأصفهاني بأخبار عمه عناية شديدة لما استطعنا الوصول للكثير من المعلومات عن العزيز (Al-Emad al-Asfahani, 1999: 43-59) .

يورد العماد الأصفهاني أن أول أعمال عمه العزيز كانت الالتحاق بالديوان الخاتوني كنائب في أعمال ذلك الديوان، والديوان الخاتوني: هوالجهاز الإداري المسؤول عن كل شؤون واقطاعات الزوجة الأولى للسلطان، وكان هذا الديوان مهماً في الدولة لأنه يتبع الخاتون التي هي الزوجة الأولى والأعلى للسلطان، ولها الكثير من المسؤوليات والمهام (Okleh, 2007:796).

ويبدو أنه كان أول أعمالـــه لأن العماد يصفه في تلك الوظيفة بقوله: "وكان العزيز أبو نصر أحمد بن حامـــد عمي أول ما شـــب، ومضى في البلاغـــة شـــباه، ... وهو في الديـــوان الخاتونـــي نائب على الأصـــل يحكـــم، وشاب عند مشـــايخ صدور يجهلون ما يعلـــم" (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/422).

وهذا الكـــلام على انحيازه للعزيز لكونه عمه واتهامه الآخـــرين بالجهل، إلا أنه مهم في دلالته على عمر العزيز، ففيه ما يؤكد أن العزيز كانت في بدايات عمره، وهو وإن أغفل تاريخ الحدث إلا أنه لا يصح إلا بعد سنة 498هـ/1104م تاريخ وفـــاة السلطان بركياروق بن ملكشـــاه (487–498هـ/1093–1104م) حيث انفرد بعدها السلطان محمد بن ملكشـــاه (498–511هـ/1104–1117م) بالسلطة في الدولة السلجوقية بعد فترة صراع عنيفة مع شقيقه بركياروق، وعمل العزيز كان في سلطنة محمدبن ملكشاه (Ibn al-Atheer, 1979: 10/304)، لذلك نقدر أنه كان في هذه السنة يعمل بالديوان الخاتوني، وهذا التاريخ يتوافق مع وصفه بالشاب حيث كان في هذه السنة يبلغ السادسة والعشرين من عمره .

والظاهر أن مهارات العزيز الإدارية، وخبرته بالعمل في دواوين السلاجقة وتراتيبها الناتجة عن تدريبه على يد أبيه وصهر أخيه أمين الدين المستوفي مكنته من التدرج السريع في الإدارة السلجوقية، والحصول على ثقة مسؤوليه، وذلك لتولي الكثير منهم مناصبهم دون كفاءة، بل إما بالرشوة أوالواسطة، وأما بسبب فقدان الكثير من الإداريين حياتهم في الصراع بين السلاجقة على العرش. (All Clownser, 2001: 159-160)

ويبدو أن وصول كمال الملك الـــسميرمي الى العمل في الديوان الخاتوني حيث كانت الخاتون الأولى للســـلطان محمد بن ملكـــشاه هي الخاتون كوهر بنت إســـماعيل بن ياقوتي الـــسلجوقي (ت 511هـ/1117م)، ثم ترقيه السريع ليصبح نائباً لوزير الخاتون، وهو لا يعرف أصول الإدارة السلجوقية، ولا قوانينها، لأنه جـــاء من خـــارج المؤسسة، ولم يتلق تعليماً يؤهله للمنصـــب

(Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/421) لذلك وجد في العزيز شاباً يقاربه عمراً، ومغموراً لا يمكن أن ينافسه في منصبه، لكنه يملك مؤهلات عالية ثقافياً وإدارياً، إضافة لخبرته العالية في قوانين الإدارة السلجوقية، مما يعوض ما يفقده من تلك المعارف، لهذا السبب قربه منه، وجعله مستشاراًله في إدارة شؤون الديوان الخاتوني (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/422)، وجاءت معرفته بالعزيز من خلال توصية قدمها له وزير خاتون العميدمحمد الجوزقاني حيث طلب منه الاعتماد على عزيز الدين في إدارة ديوان الخاتون خصوصاً بعد تولي الجوزقاني مسؤوليات في بغداد دفعته لمغادرة العاصمة أصفهان حيث مقر الديوان الخاتوني، وذلك لأن الوزير الذي يعرف صراعات الإداريين كان يثق بعزيز الدين (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/422) .

والراجح أن عزيز الدين استمر بالعمل الى جانب السميرمي في الديوان الخاتوني، وارتفعت مكانته فيه بعد تولي السميرمي وزارة الخاتون أثر وفاة الجوزقاني في تاريخ لم يحدد ولكن الدراسة ترجح أنه كان في حدود سنة 506هـ/1112م، لأنه ارتبط وهو وزير الخاتون بوزير السلطان خطير الملك الميبذي، وكانت وزارته من سنة 504-510هـ/1110-1116م (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 1/425)

وارتبط ارتقاء العزيز في المناصب الإدارية بتطور وضع الكمال السميرمي الذي كان قلقاً على وضعه في وزارة الخاتون الأمر الذي دفعه للطلب من الخاتون أن تتدخل لتوليته منصباً من المناصب العليا في إدارة الدولة، فتدخلت وولته منصب إشراف الدولة (Al-Emad al-Asfahani2019: 1/425) فانتقل عزيز الدين بتوصية- فيما يظهر- من السميرمي الى دواوين الدولة السلجوقية، وانتقل السميرمي سنة510هـ/1110م إلى منصب الاستيفاء (العماد الاصفهاني 2019 : 434/1)، وانتقل معه العزيز الى هذا الديوان نائباً له فيه وهو الأمر الذي يشير له العماد الاصفهاني بقوله: "وكان عمي العزيز في ذلك الوقت ينوب في الاستيفاء (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/43) مما يدل على أن العزيز عمل قبل الاستيفاء في ديوان الإشراف لأنه كان يتنقل مع السميرمي في الدواوين التي يتولاها .

كان تولي كمال الملك السميرمي وزارة السلطان الطفل محمود بن محمد بن ملكشاه (511-525هـ/1111-1131م) في سنة 513هـ/1113م حدثاً مهماً في مسيرة عزيز الدين حيث أصبح المستشار الأول لوزير السلطان رغم استمراره نائباً لرئيس ديوان الاستيفاء (Al-Emad al-Asfahani2019: 2/66)، ويظهر من كلام العماد أن عزيز الدين كان المتحكم بالاستيفاء، وكان صاحب الاستيفاء مجرد صورة اقتضتها الضرورة لتعيينه كونه بن للوزير الأشهر عند السلاجقة نظام الملك الطوسي، وهو شمس الملك بن نظام الملك، ولديه مؤيدون كثر من أتباع

أبيه، فأرضوهم بتوليته المنصب دون صلاحيات حقيقية، بل كانت الصلاحيات بيد عزيز الدين، وبقي في منصبه طوال وزارة السميرمي، ويبدو أنه في هذه الفترة قام ببناء علاقة جيدة مع السلطان محمود، ولكن بقتل الوزير السميرمي سنة 515هـ/1115م تغيرت الأمور مع العزيز حيث اضطر لحظتها أن يعتمد على نفسه دون وجود حليفه القوي السميرمي(Ibn al-Jawzi1992: 17/213).

ثالثاً– ولاية العزيز لمنصب الاستيفاء:

منصب الاستيفاء هو المختص باستيفاء المملكة وضبط أموال الولاية، لأن مصالح الجند ونجاح الديوان مرتبطه بها، ولأن قواعد الملك تستقر بفضلها وبها يستقيم حال الجنود والرعية وتضبط أعمال المملكة وأموالها.وهو من المناصب التي تتطلب العديد من الصفات التي يجب أن يتميز بها المستوفي ومن هذه الصفات: "يجب فيمن يتقلد هذا المنصب أن يكون متصفاً بحسن السمعه وكمال الديانة، عارفاً بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات، مسلحاً بأنواع الخبرات، عالماً بالتقاليد والعادات، مزيناً بآداب طاعة الملوك، قادمة حكم عدل وشاهد صدق، وفاصل بين الحق والباطل، إليه يسند تقويم المصالح، ويعزى نجاح الأمور السلطانية ورعاية الأموال الديوانية "(Abbas Eqba, l1984 48-50) وهو منصب يحتاج خبرة ودراية، وهو الأمر الذي جعل عزيز الدين مؤهلاً لهذا المنصب.

فبعد مقتل الوزير السميرمي تولى وزارة السلطان صاحب ديوان الاستيفاء شمس الملك بن نظام الملك لذلك أصبح منصب الاستيفاء شاغراً، فتم تعيين عزيز الدين في هذا المنصب سنة515هـ/1115م (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/70)، لكن في إدارة خسر بها حليفه الأول وحاميه السميرمي، ووصول فريق إداري معارض للسميرمي لإدارة الدولة على رأسهم الوزير شمس الدين الذي قام بمتابعة أسرة الوزير السميرمي ومصادرة أملاكهم وأملاك الوزير (Al-Emad al-Asfahanii, 2019: 2/94)، الأمر الذي دفع عزيز الدين الأصفهاني للتحالف مع الإداري الصاعد الجديد أبو القاسم ناصر بن علي الدركزيني (ت526هـ/1131م)، ورشحه لتولي منصب ديوان العرض متآمر بذلك على الإداري البارز وصاحب منصب عارض الجيش أنوشروان بن خالد القاشاني (ت532هـ/1137م)، ويعود السبب في هذا الأمر رغبةً من عزيز الدين في إيجاد حلفاء جدد في إدارة الدولة لحمايته من الإداريين المعادين للسميرمي، والذي جاء مقتله ليتوج انتصارهم عليه وعلى مناصريه في إدارة الدولة، وكان أبرز أنصاره عزيز الدين، بينما كان الدركزيني ضمن تيار ثالث متحالف مع بعض الإداريين والعسكريين الذين يقومون بحمايته، إضافة لعلاقته مع سلطان السلاجقة الأقوى سنجر بن ملكشاه السلطان الأعظم (492–552هـ/1098–1157م)، وبالتالي تحالف معه العزيز، ووجدها الدركزيني فرصة لزيادة قوته في إدارة الدولة، وتوليه منصبا

عالياً رسمياً، إضافة لصداقة قديمة جمعت بين العزيز والدركزيني، وقيام العزيز بإنقاذ الدركزيني من الوزير السميرمي لما سجنه (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/45).

تمكن عزيز الدين من الحفاظ على منصبه، وأصبح من المقربين للسلطان محمود، وأبرز إداري بعد الوزير الذي لم تطل مدته بالوزارة إذ ســـرعان ما تآمـــر عليه إداريو الدولة ومنهم عزيز الدين وحملوه فشل سياســـات الدولة المالية والعســـكرية أمـــام السلطان الذي قام بقتله عقوبة له على فشل الإدارة المالية والعســـكرية (Ibn al-Jawzi, 1992: 17/220-222, Ibn al-Atheer, 1979: 10/633).

كان انتصار العزيز الإداري هذا مكلفاًعليه جداً إذ اضطر لمعاداة الإداري البارز أنوشروان بن خالد القاشاني الذي كان يمثل بقية الكتلة الإدارية المحترفة المنتمية لإدارة نظام الملك في إطار سعيه للوصول لمنصب المستوفي والمحافظة عليه، إضافة الى إستعداء الكتلة النظامية التي اتهمته بدور بارز في مقتل الوزير شمس الملك (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/74)، ويبدو أن أنوشروان بن خالد الذي فقد منصبه وتم سجنه ثم مصادرة أملاكه وجه اتهامه للعزيز بأنه وراء هذا الأمر لذلك عاداه، ولما نكب ساعد على نكبته أو على أقل تقدير لم يتدخل لإنقاذه حيث يقول في كتابه الذي ضمنه العماد الاصفهاني كتابه نصرة الفترة: "وما وجدت من أنسب اليه هذا القصد–عزله ونكبته–غير العزيز، فإن الباقين كانوا مسخرين له.... وقد عرفت به بين الوشاة". وهذا اتهام صريح وواضح للعزيز بدوره في ما حدث له (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/74).

تفرد عزيز الدين بحكم الدولة السلجوقية بعد مقتل الوزير، وأصبح مقرباً جداً للسلطان مما دفع السلطان لعرض منصب الوزارة عليه، لكن عزيز الدين رفض تولي المنصب، واقترح تولية صديقه وحليفه الدركزيني منصب الوزارة على أن يبقى في منصبه المستوفي، ويقوم بتوجيه الوزير الجديد لقلة خبرته الإدارية (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/103-104, al-Emad al-Asfahani, 1999: 43).

ولابد هنا من التوقف أمام رفض العزيز تولي وزارة السلطان، وهوحلم كل إداري في الدولة، إضافة الى أن طموح العزيز الكبير يتنافى مع هذا الرفض، وبعد دراسة رواية العماد حول هذا الموضوع حيث انفرد بذكر كل هذه التفاصيل عن الإدارة السلجوقية، ولم يذكرها غيره من المؤرخين إلا عرضاً وبصورة ضئيلة، وذلك لأن كتابه هو المصدر الوحيد الذي اعتنى بإدارة السلاجقة، ووصل إلينا من بين كل الكتب الأخرى التي صنفت في هذا الموضوع، وبتحليل رواية العماد الذي بنى كتابه للدفاع عن عمه العزيز يتبين لنا مجموعة من العوامل دفعت العزيز للاعتذار عن تولي منصب الوزارة:

1- كان العزيز مقتنعاً أن من سيتولى منصب الوزارة في هذا التوقيت سيتحمل الاتهام بأنه لعب دوراً في قتل الوزير شمس الملك ليحل مكانه، مما يعني أن من سيتولى المنصب سيواجه بعداء الكتلة النظامية الإدارية والعسكرية.
2- قناعة العزيز أن من يتولى المنصب سيحظى بعداء الإداري البارز أنوشروان الذي أخرج من محبسه بعد مقتل الوزير، وعرض عليه العودة للإدارة لكنه فضل الاستراحة في بغداد، مما يعني أنه ينتظر للانقضاض على من يتولى الوزارة، وكان صاحب نفوذ، وله احترام كبير عند السلاطين والعسكريين والإداريين.
3- قناعة العزيز أن من سيتولى منصب الوزير لن يعمر طويلاً في مناصبه للأسباب السابقة، ولكثرة المشاكل المالية والإدارية التي يجب عليه مواجهتها مما يجعله في صدام مع كل مراكز القوى في الدولة.
4- اعتقاد العزيز أن تولية الدركزيني للوزارة تعني فعليا وزير صوري لا يملك السلطة يواجه كل المشاكل التي ذكرناها سابقا مقابل أنه سيملك السلطة الحقيقة في الدولة فاذا تحسنت الظروف وأطيح بالوزير يتولى لحظتها الوزارة بعيداً عن المشاكل والعداوات والتهم.
5- قناعة العزيز أن الدركزيني قليل المعرفة بأصول الإدارة السلجوقية، وحديث الظهور بين كبار موظفيها، سيعتمد عليه اعتماداً كاملاً في إدارة الدولة، إضافة الى أن المشاكل التي يواجهها لن تبقيه في الوزارة طويلاً (al-Emad al-Asfahani2019: 2/104-126).

وبالتالي لم يكن رفض عزيز الدين الأصفهاني لمنصب الوزير زهداً بالمنصب، بل كان تخطيطاً جيداً منه لتوليه بعد ذلك لقناعته أن من يتولاه في تلك الفترة لن يستمر طويلاً، فكان مخططه أن يولي الدركزيني الوزارة، ويديرها هو من وراء الستارة، وينتظر الفرصة المناسبة لإزاحة الدركزيني، وتوليه المنصب آنذاك.

رابعاً-العزيز في وزارة الدركزيني:

اعتقد العزيز أنه حقق مراده بتولية الدركزيني، واستمر بعمله مستوفياً للممالك يباشر أمور الاستيفاء لكنه تفاجأ بقدرات الدركزيني الكبيرة الذي نسج سلسلة تحالفات ممتدة مكنته من البطش بمعارضيه من رموز إدارة الدولة ورجال الجيش المعارضين له، وبدا عارفاً لأهداف العزيز، فخاف العزيز على نفسه منه، فاحتج فراراً منه برغبته بالحج أملاًبقيام المعارضين للوزير بالإطاحة به قبل عودته من الحج، وذلك سنة 518هـ/1128م، إلا أنه عاد وكانت قوة الوزيرقد ازدادت، ولم يتمكن معارضوه من الإطاحة به رغم جهودهم في ذلك، مما أجبرمعه عزيز الدين على طلب إعفائه من منصبه مستوفياً للممالك، وذلك خشـــــية على نفســـــه من الوزير ومناصريه، وخوفـــــاً من تمكن

معارضـــي الوزير من الإطاحة به وعدّهم العزيز من أتباعه والإطاحة به مع الوزيـــر ومعاقبته (Al-Emad al-Asfahani2019: 2/130-133).

ويبدو أن السلطان أمام رغبة العزيز، وعداء الدركزيني له، وافق على قبول استعفاء العزيز من منصبه لكن مقابل توليه منصباً آخر في الدولة.

خامساً- عزيز الدين صاحباً للخزانة السلطانية :

تعد الخزانة الســـلطانية المنصب الخامس الرئـيس بعد الوزارة والصدور الأربعة العظام الذين يتولون دواوين الدولة الرئيـــسية، وتختص بالإشـــراف على أمـــوال السلطان الخاصة، وأمـــوال أســرته، وإقطاعاته بالدولة، ويتميز صاحبها بالاتصال المباشـــر الدائم مع السلطان (Al-Emad al-Asfahani2019: 2/133).

كان السلطان محمود مدركاً لخطورة ترك الدركزيني وأعوانه يتفردون بشؤون إدارته، لذلك وافق على استعفاء العزيز من منصب الاستيفاء في سنة 519هـ/1129م مقابل توليته الخزانة الســلطانية، ويبدو أن رغبة السلطان وافقت هوى من العزيز الذي يريد حماية نفســه من الوزير، والبقاء في دائرة الـــسلطة الســـلجوقية، إضـــافة الى إن وظيفته تعني رســـمياً أنه لـــم يعد محـــسوباً على الوزيـــر، واعتقد أنه بهذه الوظيفة يـــستطيع العودة للإدارة بعد التخلـــص من الدركزيني (Al-Emad al-Asfahani2019: 2/133).

ويظهر أن العزيز أوغر صدرالسلطان على الوزير، إضافة الى تمكن الفريق المعارض له من إظهار فشله وخطورته أمام السلطان الذي ما لبث أن قام في سنة 521هـ/1127م، بعزله من منصبه واعتقاله، وهنا تظهر مشكلة في المصادر حيث تذكر المصادر أن الوزير والعزيز كلاهما اعتقل، وتؤرخ هذه الحادثة بسنة 521هـ/1127م، وتجعل سبب عزل الوزير إتهامه من قبل الأمير سعد الدولة يرنقش الزكوي (ت540هـ/1146م) شحنة بغداد بانه قامأثناء صراع السلطان مع الخليفة العباسي بتلقي رشا من الخليفة لإقرار الصلح بينه وبين السلطان بشروط هي في صالح الخلافة، وذكرت أن تهمة العزيز هي عبارة عن اتهام وجهه الوزير له لم توضحه تلك المصادر (Ibn al-Jawzi, 1992: 17/244, Ibn al-Atheer, 1979: 10/642, Ibn al-Jawzi, 2013: 20/207).

أما العماد الاصفهاني فخالف تلك المصادر بجعله الحدث في سنة 519هـ/1125م، وجعل عزل الوزير ناتجاً عن الأخطاء التي ارتكبها في الإدارة، ويذكرأن العزيز لم يعزل بل بقي في منصبه، وسلم الوزير إليه، وعرض عليه تولي الوزارة إلا أنه رفض ذلك ليكون هلاك الوزير على يد غيره (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/134).

إن مناقشة هاتين الروايتين يظهر أن رواية العماد غير دقيقة لأن العماد كان ولد سنة 519هـ/1125م، وليس لديه مصدر يعتمد عليه في خبره هذا، بينما المصادر الأخرى لا غرض لها في هذه المسألة، إضافة أن الحادثة كانت في بغداد، والمصادر التي ذكرناها مخالفة للعماد عراقية تعتمد على مصادر كانت معاصرة للحدث.

كان عزل الوزير بتهمة محددة، وكذلك العزيز الذي لم توضح تهمته لذا قام السلطان بتعيين الإداري أنوشروان بن خالد القاشاني وزيراً له، وكلفه باعتقال الدركزيني عنده، وترجح الدراسة أن العزيز كان معتقلاً أيضا، لكن أنوشروان الذي كان يعرف قوة الدركزيني، وأن المسالة لا تعدو أن تكون غضباً من السلطان مؤقتاً على الدركزيني وأن أسباب قوته ما زالت موجودة وخصوصاً أنه ما زال يحظى بثقة السلطان سنجر السلجوقي الخاضع له السلطان محمود ولهذا السبب قام انوشروان بمعاملة الدركزيني معاملة حسنة ثقة منه أن عودته للسلطة قريبة، وهو ما حدث فعلياً بعد سنة إذ أعيد الدركزيني إلى منصبه بتدخل من سنجر، ولظهور كذب التهمة الموجهة له، وعزل أنوشروان عزلاً حسنا، وعاد إلى بغداد، ويبدو أن العزيز أطلق قبله بقليل، وأعيد لمنصبه صاحباً للخزانة السلطانية (Ibn al-Atheer, 1979: 10/652).

حاول الدركزيني بعد عودته للوزارة الإطاحة بكل من عمل ضده لعزله، وقام بضرب كل الشخصيات القوية في الدولة السلجوقية ليحكم قبضته نهائياً على إدارة الدولة، وكان عزيز الدين أحد الذين اكتشف خطرهم عليه، لذلك بدأ بالتخطيط للتخلص منه ووجد الفرصة السانحة عندما أقنع السلطان سنجر بمطالبة السلطان محمود بميراث ابنتيه وجواهرهما حيث كان محمود قد تزوج ابنة عمه سنجر فلما ماتت تزوج اختها فماتت أيضا، فأقنعه الدركزيني بمطالبة محمود بميراثهما وجواهرهما، وكانت مبالغ ضخمة لا يستطيع محمود دفعها ثم أقنع محمود أنه من الممكن التهرب من الدفع لسنجر بحجة عدم وجود ذلك المبلغ، لكنه أخبره أن العزيز صاحب الخزانة سيسأل عن هذا المبلغ من قبل سنجر، ولن يتمكن العزيز من الإنكار وهو الدليل الوحيد بيد سنجر، فإذا عزل واعتقل لا تقبل شهادته ضد محمود، وكان السلطان محمود يعاني من ضائقة مالية شديدة، فأرغبه أيضا ببقاء الميراث والجوهر بيده، إضافة الى تعهده بدفع مبلغ 300,000 دينار الى الخزينة، فوافق السلطان محمود الخائف على أمواله من عمه، والراغب بزيادةإيرادات خزينته بما سيدفعه له الدركزيني، فعزل عزيز الدين، ونرجح أن ذلك حدث في سنة525هـ/1130م حيث كان السلطان في

بغداد لذلك قام باعتقال العزيز في مدينة تكريت القريبة من بغداد، وتمت مصادرة ممتلكاته وممتلكات أسرته، واعتقال أسرته، ومات السلطان محمود أثناء عودته من بغداد الى أصفهان (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/143-145, al-Emad al-Asfahani, 1999: 44, Ibn Khalkan, 1978: 1/189).

سادسا: مقتل عزيز الدين :

كانت وفاة السلطان محمود إيذاناً بدخول الدولة السلجوقية في العراق وفارس صراعاً على العرش بين أبناء محمود وإخوته، وكان أحد المطالبين بالعرش الملك مسعود بن محمدشقيق محمود الذي رفض الانصياع لأمر الوزير الدركزيني بتعيين داود بن محمود سلطاناً الأمر الذي دفع سنجر للتدخل، وتعيين طغرل بن محمد سلطاناً على العراق، لكن مسعود رفض الانصياع لأمر سنجر واستمر بتمرده ومطالبته بالعرش ووصل في سنة526هـ/ 1131 مالى قريب العراق، فخاف الدركزيني من إخراج العزيز من سجنه والتحاقه بمسعود، لذلك قام بتوجيه كتاب لحاكم تكريت بإعدام العزيز، وهو ما تم بعد مماطلة قصيرة، وبذلك انتهت حياة إداري بارز من كبار الإداريين في الدولة السلجوقية (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/175).

سابعاً– أثر عزيز الدين في الدولة السلجوقية :

ترك عزيز الدين آثاراً مهمةً في الدولة السلجوقية نتيجة سنوات عمله في إدارتها، وخبراته الواسعة فيها، واتساع ثروته الناتج عن وظائفه، فقد ذكرالعماد وابن الدبيثي (637هـ/1239م) قيام عزيز الدين بمجموعة من الأعمال الخيرية في الدولة السلجوقية :

1- قيامه بإنشاء مستشفى ميداني لمعسكر السلطان تحمل أدواته ومعداته، وأدويته والأطباء به مائتا ناقة مما يدل على حجمه الكبير (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/71).
2- بناء مكتب لتعليم الأيتام في بغداد على نفقته الخاصة، ووقف عليه وقوفاً تكفيه أجوراً لمعلميه ومصاريف للأدوات الدراسية، ومبالغ للطلبة ينفقون منها شهرياً، إضافة لكسوتهم وطعامهم، وكان مخصصاً لتعليم أولئك الأيتام الخط، والكتابة، والأدب، وحفظ القرآن، والعلوم الدينية (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/71,Ibn Al-Dabithi, 2006: 2/243).
3- يذكر العماد قيام العزيز ببناء مشاهد، وقناطر، ومساجد، لكنه لم يحدد أين بنيت تلك العمائر، ولكن يغلب على الظن أنها كانت في أصفهان عاصمة السلطنة، ومقر إدارتها، وموطن العزيز (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/71).

أما فيما يتعلق بآثاره التي تركها من خلال عمله في إدارة الدولة، فيظهر أنه قام بوضع ضوابط وقوانين لعمل ديوان الاستيفاء يقوم عليها تنظيم العمل به، كما قام بوضع نماذج للعمل ليقوم عمال ديوان الاستيفاء بالاطلاع عليها لايجاد نماذج معتمدة يحتذونها في عملهم، وخصوصاً المبتدئين منهم، وبقيت آثاره في ديوان الاستيفاء لفترة طويلة بحيث إن كل من تولى ديوان الاستيفاء بعده كانواممن عملوا إلى جانب العزيز وتعلموا، ويعدون من تلاميذه في هذا الديوان (Al-Emad al-Asfahani, 2019: 2/214, 233, 251, 285, Ibn al-Fawti, 1996: 1/277).

وكذلك ترك أثرا جيداً في أثناء رئاسته للخزانة السلطانية حيث حاول جرد ما كان للسلطان محمد والد السلطان محمود، وحدد أملاكه قبل وفاته، وذلك فيما يظهر لضبط ما تسرب من أملاك الخزانة السلطانية لإعادته لها في محاولة لضبط الهدر، وبيان مصير الأموال المهدورة، ومحاولة لعدم هدر أي أموال مستقبلاً لوجود سجلات رسمية بتلك الممتلكات (Al-Emad al-Asfahani2019: 2/152).

الخاتمة:

خلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها :

1- ساعدت ثقافة عزيز الدين وتعليمه وصلات أسرته بالإدارة السلجوقية في تأهيله تأهيلا عالياً يمكنه من تسلم مناصب في إدارة الدولة السلجوقية، وهو ما كانت تؤهله من أجله أسرته، وساعدت صلات عزيز الدين في تقدمه في إدارة الدولة.
2- لعب ارتقاء إداريين ليس لديهم خبرة في إدارة الدولة إلى مراتب إدارية عليا بسبب الرشوة والتخلات سواء من زوجات السلاطين أو كبار القادة العسكريين دوراً مهما في سرعة ارتقاء عزيز الدين في مناصب الدولة لحاجة أولئك المسؤولين منعدمي المعرفة الإدارية مثل السميرمي والدركزينيالى شخصية مثقفة عالية التدريب لها خبرة مقبولة في الإدارة السلجوقية وقليلة الخطر عليهم لتكون إلى جانبهم لاطلاعهم على أصول الإدارة وإرشادهم الى طريقة إدارة مناصبهم.
3- تورط عزيز الدين في إطار سعيه لتولي مناصب عليا في الإدارة السلجوقية في التحالف مع قوى في الإدارة ضد قوى أخرى أملا في إزاحة بعض كبار الإداريين ليسهل عليه تولي مناصب عليا في الدولة.
4- نجح عزيز الدين بتحالفه مع الوزير السميرمي في الوصول لمنصب نائب صاحب الاستيفاء ثم بعد مقتل السميرمي تحالف مع الدركزيني ليسهل عليه الوصول لمنصب رئيس ديوان الاستيفاء.

5- اقتنع عزيز الدين أن بقاءه في السلطة يحتاج لوجود حليف قوي يدعمه ويحافظ على مكانته لهذا وثق تحالفه مع الدركزيني الوزير الجديد للمحافظة على منصبه لكنه في إطار سعيه لتولي منصب أعلى اصطدم بالدركزيني مما دفعه للتخلي عن منصب المستوفي متولياً لمنصب صاحب الخزانة السلطانية الأقل شاناً أملا في حماية نفسه من الوزير ورغبة في توثيق علاقته بالسلطان ليتمكن من الإطاحة بالوزير، ونجح مؤقتاً في مسعاه حيث عزل الوزير لكنه ما لبث أن عاد لمنصبه ليقوم هو بالإطاحة بعزيز الدين من منصبه واعتقاله ثم قتله.

6- كان عزيز الدين إداريا بارعاً في عمله وله أعمال كثيرة لتنظيم الإدارة وترك بها آثاراً جيدة بقيت بعده لفترة من الزمن كما اشتهر بالأعمال الخيرية التي قام بها سواء في بغداد أو اصفهان.

7- توصي الدراسة بضرورة دراسة المناصب الإدارية في الدولة السلجوقية مثل المستوفي لأثرها البالغ في ازدهار الدولة وحسن إدارة ولاياتها كما أن فسادها أدى الى فساد الدولة ثم انهيارها.

References:

Al-Rawandi, Muhammad bin Ali bin Suleiman, Rahat Al-Sadour and The Verse of Al-Sorour in the History of the Seljuk State, translated by Ibrahim Al-Shawarbi and others, Dar Al-Qalam, Cairo, 1960 AD.

Ibn Khalkan, Shamseddine Ahmed bin Mohammed. WafyyatAl ayan, the investigation of Ihsan Abbas, Beirut, Dar Sader, (1972).

Ibn al-Atheer(d 630AH), Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm Al kamil fi al Tarykh, Abu al-Fida Abdullah al-Qadi's investigation, Beirut, The House of Scientific Books, (1987).

al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Baghdadi (d.626 AH / 1228 AD), Glossary of Countries, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1979.

Ibn al-Jawzi(d 597 AH), Abdul Rahman bin Ali Tariekh Al Umam, the realization of Mohamed Abdelkader Atta and Mustafa AbdelKader Atta, Beirut, The House of Scientific Books, (1995).

al-Emad al-Asfahani, Muhammad bin Muhammad bin Hamid (d.597 AH, 1200 AD), Khuraidat Al-Qasr and Al-Asr newspaper, on mentioning the virtues of the people of Isfahan, edited by Adnan Muhammad Al Tohme, 1st edition, Tehran, 1999 AD.

Al-Safadi, salah aldiynkhalil bin 'abik(d.764AH), alwafibialwafayati, tahqiq 'ahmadal'arnawwtwaghayruh, t1, dar 'iihya' alturathalearabyi, bayrutlubnan, 2000 AD.

Al-Rawandi, Muhammad bin Ali bin Suleiman, Rahat Al-Sadour and Aya Al-Sorour, translated by Ibrahim Amin Al-Shawarby, The Way of Knowledge Library, 2005 AD.

Ibn Al-Dabithi, Muhammad bin Saeed, The Tail of the History of Baghdad, Bashar AwadMaarouf's investigation, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 2006 AD.

Sabet Ibn al-Jawzi, Shams al-Din Abu al-Muzaffar Youssef Ibn Qazogly (d.654 AH / 1256 AD),The Mirror of Time in The History of The Dignitaries, edited by Muhammad Anas al-Hasan and Kamel al-Kharrat, Dar al-Risalah al-Ilmiyya for publication, Damascus, Edition 1, 2013.

Ibn Hamdoun, The Hamduni Tadhkira, C12, Ahmad III Library Manuscript, a photocopy at the Center for Documentation and Manuscripts, University of Jordan, tape No. 609.

Al-eEimadal'asfihani, Muhammad bin Muhammad bin Hamid (d.597 AH, 1200 CE), Supporting the Period and the Age of Fitrah, Al-Furqan Foundation for Islamic Studies, Edited by Issam Mustafa Uqla, 1st Edition, 2019 AD

Ibn al-Fawti, kamalaldiyn 'abualfadleabdalrzaq(d.723AH), majmaealadab fi maejamal'alqabi, tahqiqmuhamadalkazim, ta1, tahran, 1416.

Iqbal, Abbas, the ministry in the era of the Seljuks, translated by Ahmad Kamal al-Din Helmy, Kuwait, 1984 AD.

All Clownser, Karla, A Study of Civil Administration in the Abbasid Era, translated by Abd al-Jabbar Naji, Center for Middle Eastern Studies, Baghdad, 2001.

okleh, Issam, Women and Power in Islam The Seljuk Sisters as a Model (447-511AH / 1055-1117AD), Journal of Studies for Humanities and Social Sciences, University of Jordan Amman, Volume 34.2007.

Al-Qaida, Abd al-Hadi Nayef, The Seljuk Administration in Baghdad al-Shihna as a Model Studies, Humanities and Social Sciences, Volume 42, Supplement, 2015.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية

ابن الأثير (ت630هـ)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية1987..

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت597هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، م1992.

ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج12، مخطوط مكتبة أحمد الثالث، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم 609.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972.

ابن الدبيثي، محمد بن سعيد، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.

الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة، 1960م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله (ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الحسن وكامل الخراط، دار الرسالة العلمية للنشر، دمشق، ط1، 2013.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك(ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وغيره، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 2000م.

العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ، 1200م)، خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضائل أهل أصفهان، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، ط1، طهران، 1999م.

_____، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، مؤسسة الفرقان للدراسات الإسلامية، تحقيق عصام مصطفى عقلة، ط1، 2019م.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق. (723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، ط1، طهران.

إقبال، عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة: احمد كمال الدين حلمي، الكويت، 1984م.

ال كلاونسر، كارلا، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، ترجمة عبدالجبار ناجي، مركز دراسات الشرق الأوسط، بغداد، 2001م.

عقله، عصام، المرأة والسلطة في الإسلام الخواتين السلجوقيات أنموذجا (447-511هـ/1055-1117م)، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية الجامعة الأردنية عمان، مجلد 34،2007.

القعايده، عبدالهادي نايف، الإدارة السلجوقية في بغداد الشِحنَة أنموذجاً دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 42 ، ملحق2015.